OPEN ACCESS
Journal of Arabic Research (AIOU)
jar.aiou.edu.pk
iri.aiou.edu.pk

الأبعاد التاريخية في روايتي أبناء القلعة والزوبعة لزياد القاسم

Historical Dimensions in the Two Novels, Abnaa' Al Qal'a (Sons of the Castle) and Al Zqwba'a (The Whirlwind) by Ziad Al Qassem

أ.د. جودي فارس البطاينة

أستاذة الأدب والنقد و مديرة تحرير مجلة جرش الثقافية

قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة جرش، المملكة الأردنية الهاشمية

Abstract

This study is based on addressing the historical dimensions in the novels that portrays reality, and the conflict with it, through a historical narration of real events in a distinctive epic novelist style. Among those who excelled in this direction is the Jordanian novelist Ziad Al Qassem in his two novels Sons of the Castle and The Whirlwind with its four parts, the events of which began before the events of the novel Sons of the Castle. Although the novel Sons of the Castle was published four years before the publication of the first part of The Whirlwind, its events followed and complemented the events of the whirlwind that began with the period "in which sectarian strife erupted in Lebanon, in the sixth decade of the nineteenth century with English support for the Druze and French for the Maronites. It ended with the region's struggle to get rid of the British and the Jews, with the outbreak of World War II when the events of the novel Sons of the Castle began from the winter that "followed the fall of Berlin and the destruction of Hiroshima, and the Palestinians first catastrophe. It ends with the defeat of June at the end of the sixties with different spatial expansion between them. The events of The Whirlwind extended to (Palestine, Jordan, Syria, Egypt, Iraq, Lebanon, France, Astana, North and South America, Brazil, and Kuwait), while the events of the Sons of the Castle "were confined to the Castle area in the middle of the Jordanian capital, Amman.

Keywords: historical dimensions**,** Jordanian novelist, Ziad Al Qassem**,** The Whirlwind, Lebanon.

الملخص :

تقوم هذه الدراسة على تناول الأبعاد التاريخية في الروايات التي تصور الواقع ، والصراع معه، عبر سرد تاريخي لأحداث واقعية بأسلوب روائي ملحمي مميز، وممن برع في هذا الاتجاه الروائي الأردني زياد القاسم [1] في روايتيه "أبناء القلعة"[2] ورواية "الزوبعة" بأجزائها الأربعة، التي بدأت أحداثها

الأبعاد التاريخية في روايتي أبناء القلعة والزوبعة لزياد القاسم

قبل أحداث رواية "أبناء القلعة" بالرغم من صدور رواية "أبناء القلعة" قبل صدور الجزء الأول من رواية "الزوبعة" بأربع سنوات، غير أن أحداثها جاءت تالية ومكملة لأحداث الزوبعة التي بدأت بالفترة "التي اشتعلت فيها الفتنة الطائفية في لبنان، في العقد السادس من القرن التاسع عشر بدعم إنجليزي للدروز وفرنسي للمارونيين"[3]. وانتهت بكفاح المنطقة للتخلص من الإنجليز واليهود، مع اندلاع[4] الحرب العالمية الثانية. حيث بدأت أحداث رواية "أبناء القلعة"، من الشتاء الذي "أعقب سقوط برلين ودمار هيروشيما"[5] ، وحلت بالفلسطينيين نكبتهم الأولى[6] . وتنتهي بهزيمة حزيران في نهاية الستينيات مع اختلاف التوسع المكاني بينهما؛ فقد امتدت أحداث رواية "الزوبعة" (لفلسطين والأردن، وسوريا، ومصر، والعراق، ولبنان، وفرنسا، والاستانة، والأمريكيتين الشمالية والجنوبية، والبرازيل، والكويت). بينما أحداث رواية أبناء القلعة "فاقتصرت على منطقة القلعة التي تتوسط العاصمة الأردنية عمان.

لايخفى على أحد امتداد جذور الرواية التاريخية العربية إلى الحكايات الشعبية والسير والأساطير التي دونت في فترات توسع الدولة الإسلامية ثم عادت لتكتب بالشكل الحديث بعد انتقال فن الرواية إلى اللغة العربية في القرن التاسع عشر ؛ فقد ارتبطت بعدة عوامل أثرت في تطورها أبرزها تيار مقاومة الاحتلال وقد بدأ جورجي زيدان طريق الرواية التاريخية العربية وبرز فيها من بعده توفيق الحكيم ونجيب محفوظ وجمال الغيطاني[7] ، والرواية في الأردن بمضامينها وموضوعاتها جزء لا يتجزأ من الرواية العربية وهذا واضح في مختلف مراحل الرواية التاريخية الأردنية فمع جيل الرواد نجد الروائي محمد أمين الكيلاني يكتب رواية (واقعة الطفيلة 1919، ورواية واقعة الحسا 1919 ، واقعة معان 1919، واقعة وادي موسى 1920) 1919 ، وكتب الروائي روكس العزيزي عن التاريخ العربي بروايتي " أبناء الغساسنة "1936 و " إبراهيم باشا " ونجد الروائي عبد الحليم عباس يكتب عن " فتاة من فلسطين "1949وبعدهم يكتب الروائي عيسى الناعوري روايته (بيت وراء الحدود)1959 ، وبعد جيل الرواد يأتي جيل المؤسسين الحقيقيين أمثال غالب هلسا وأمين شنار وغيرهم وفي مرحلة الثمانينات يظهر مؤنس الرزاز ، وجمال ناجي ، والياس فركوح ، وابراهيم نصر الله وغيرهم ، ورواية التسعينات يظهر عنا الروائية زهرة عمر التي تكتب عن الشتات الشركسي عبر تركيا وسوريا وصولا إلى عمان في روايتها " الخروج من سوسروقة " ويظهر رمضان رواشدة في روايته (الحمراوي) ينتقل فيها عبر خمسة قرون من التاريخ ليعكس مأساة وهموم الإنسان العربي المعاصر[8] ، ومن روائيي هذه المرحلة الروائي زياد القاسم محور الدراسة .

ويوجد نوعان للرواية التاريخية : النوع التقليدي للرواية التاريخية ، والذي يحرص على الأمانة في نقل الأحداث التاريخية وعدم تزييفها ، أما النوع الآخر فيتمثل في التناول الحداثي والجديد للتاريخ حيث تستعمل الرواية التاريخ كمادة خام لا لنقلها أو إعادة صياغتها ولكن لتحقيق أهداف روائية لا تتحقق إلا بها ومن المصطلحات الأدبية المعاصرة للرواية التاريخية بأنها :"سرد قصصي يرتكز على وقائع تاريخية، تنسج حولها كتابات تحديثية ذات بعد إبهامي معرفي وتنحو غالبا إلى إقامة وظيفة تعليمية وتربوية "[9]ومن تعريفات الرواية التاريخية تعريف جوناثان فيلد الذي يرى أن الرواية تعتبر تاريخية عندما تقدم تاريخاً وأشخاصاً وأحداثاً يمكن التعرض إليهم وقد بين ستوارد أن الرواية التاريخية تمثل سجلاً لحياة الأشخاص أو لعواطفهم تحت بعض الظروف التاريخية[10] وهي عند جورج لوكاتش :" رواية تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق بالذات "[11]. الرواية التاريخية الجديدة :"عمل فني يتخذ من التاريخ مادة له ، ولكنها لا تنقل التاريخ بحرفيته ، بقدر ما تصور رؤية الفنان له وتوظيفه لهذه الرؤية، للتعبيرعن تجربة من تجاربه ، أو موقف من مجتمعه يتخذ من التاريخ ذريعة لقوله"[12]

وبناء على ما تقدم من تعريفات يمكن تعريف الرواية التاريخية بأنها :" ذلك الجنس الروائي،الذي يستعمل حادثة تاريخية موثقة ويتناول شخوصها وبيئتها الزمانية والمكانية ، ويعيد صياغتها بشكل فني خيالي ، للتعبير عن رؤية كاتبها وفكره في العصر الذي يعيش فيه [13]والرواية التاريخية، ضرب من الرواية يمتزج فيها التاريخ بالخيال ، تهدف الرواية التاريخية إلى تصوير عهد من العهود أو حدث من الأحداث الضخام بأسلوب روائي سائغ مبني على معطيات التاريخ "[14]

ووظيفة الروائي التاريخي لا تقتصر على "إعادة تسجيل الحقائق التاريخية ونقلها إلى القارئ،فهذه مهمة وثائق المؤرخ وسجلاته ، وأما وظيفة الروائي التاريخي فتكمن في اختياره من تلك الوثائق والسجلات ما يمثل امتدادا لواقعه وحاضره ، وما له صلة بواقعه وبقضايا مجتمعه الراهنة ، بما يعيد ذهن القارئ إلى تلك الصلة التي تشد الرواية التاريخية إلى الحاضر ، على الرغم من توغلها في الماضي "[15]

تناولت رواية أبناء القلعة مجموعة من الشخصيات وهم "أبناء القلعة" التي احتوتهم في هذه الفترة الزمنية من شركس ويمثلهم عائلة شمس الدين، وشاميين ويمثلهم أبو عبده "الشامي" وفلسطينيين ويمثلهم خليل منعش، وأنور علي، وعراقيين ويمثلهم خالد، ولبنانيين ويمثلهم أنطوان، وأبناء البلد من مسلمين مثل منصور، وبرجس، وحران، ومسيحيين، ويمثلهم جورج. فضلاً عن الملوك الملك (حسين) رحمه الله، والقادة القائد (جلوب باشا) فقد أحصاهم الناقد نزيه أبو نضال، فبلغوا أكثر من أربعين

شخصية رئيسة، إلى جانب عشرات الشخصيات الثانوية، ولهذا عدّ الرواية ملحمة تاريخية [16] مثل هذا العدد الضخم من الشخصيات نجده في رواية "الزوبعة"، مع توسع في إضافة بعض الشخصيات التاريخية المعروفة من أمراء وقادة، وجدوا في تلك الفترة الزمنية والذين ضمتهم الأماكن التي تحدث عنها مثل: (الأمير فيصل، والأمير عبد الله، والشريف ناصر، والشيخ مبارك). وشخصيات عثمانية (مصطفى أتاتورك) وقادة غربيين (لورنس، والجنرال اللنبي، والكولونيل تولا).

وتحركت أحداث الرواية في كل المواقع والأماكن حيث أسهمت فيها كافة شرائح وفئات المجتمع بمختلف مستوياتهم الفكرية والإنتمائية،فهناك المعلم،والمثقف، وطالب العلم،والبدوي،والفلاح،والجندي،والمزارع، والراهب، وإمام الجامع، والحداد، وحمال الميناء، وبائع الأقمشة، ومغسل الأموات، والجاسوس، والقواد، والمومس، والبلطجي،... وغيرهم "فاختلط فيها الروائي بالتاريخ الوثائقي"[17]

مع أن تسلط البعد التاريخي على العمل الروائي وعدم قدرة الروائي على التعامل معه سيشكل مزلقاً مؤثراً على فنية النص، وقد تأثرت الفنية بعض الشيء في هذا الاتجاه.

ولكي يستطيع الراوي تصوير هذه المرحلة، اعتمد في بناء الرواية على نظام اللوحات المستقلة ليستطيع الانتقال بسهولة بين مواضيعها الكثيرة، فلجأ في الجزء الأول من الرواية إلى نظام الفصول التي تحتوي مجموعة من اللوحات، معنونة بأسماء أمكنة تدل على الأحداث التي ستحدث فيها، مثل: الكرك، الأستانة، القبة..." حتى لا تختلط الأحداث والشخصيات على المتلقي. وبذلك يشاركه بالربط بين الأحداث، وبهذا تكون أكثر إثارة وتشويقاً للقارئ، وتكسر من رتابة السرد الممل لعدد ضخم من الشخصيات، والأحداث وبهذا استطاع الراوي الإلمام بعمله فكانت لوحاته أشبه "بأسلوب الدراما على طريقة المسلسل التلفزيوني".[18] ولكن هذا التقسيم للجزء الأول من "الزوبعة" يختلف عن تقسيمه لباقي أجزاء الرواية لاعتماده الترقيم للفصل بين اللوحات بدلاً من الفصول والعنونة للوحات. وقد يعود ذلك لكون القارئ قد كون فكرة عن شخصيات الرواية ومواضيعها من الجزء الأول. إذ جعل الروائي "البعد الزماني والأحداث السياسية محوراً لسائر الأبعاد الروائية في هذه الرواية[19] حيث نلاحظ توثيق بعض الخطب أو الرسائل المتعلقة بموضوع الحرب ليؤكد الحدث [20]فاستطاع بذلك أن يلم بكل هذا العدد من الشخصيات والأحداث والوقائع في الرواية "المبنية بناءً هرمياً، لو سحبت منه حجراً لانهار البناء بأكمله. "إنها عالم يحتشد بعمليات البناء – والهدم- والولادة والموت، الحب والبغض، الحرب والسلم،الجريمة والعقاب[21]

وهذا ينطبق على رواية "أبناء القلعة"، فعلى الرغم من الفترة الزمنية الممتدة، وتعدد شخصياتها المرتبطة بمكان معين، إلا أن الروائي استطاع السيطرة على تسلسل أحداث الرواية المتنامي بشكل طبيعي نحو مصيره من خلال بنائها الذي اعتمد فيه على فصول داخلها لوحات تبتدئ أغلبها بوصف للمكان، لما له من أهمية في تكوين الأفراد، والكشف عن علاقاتهم وانتمائهم، فمثلاً اللوحة الأولى تبدأ بوصف حد السيل،[22] والثانية بوصف لمنزل عائلة شمس الدين[23] والثالثة بوصف شجرة السنديان[24] فالمكان في الرواية يصنع "الأحداث ويتحكم في أمزجة الشخصيات وواقعها النفسي[25] مما يشكل في النهاية "أداة تفسيرية رمزية في آنٍ[26]بعضها الآخر يبدأ بأسماء شخصيات الرواية للتعريف بهم، مثال ذلك اللوحة الرابعة التي عنونت بمنعش، والخامسة بنايف، والسادسة بحران.... الخ.

وما يجمع كل هذه الفصول واللوحات الصراع على المصالح الاقتصادية والفكرية والسياسية بين الشخصيات مثال ذلك الصراع الفكري بين حزب البعثيين، والإسلاميين[27] والصراع السياسي بين أبناء القلعة وجلوب باشا[28] والصراع من أجل مصالح اقتصادية كالذي حصل بين أبي عبده وخليل منعش ضد الكوكا كولا[29] أو ضد بعضهما البعض[30]، وبهذا يقول الناقد سليمان الأزرعي "لا تقل خبرة زياد القاسم في تحريك شخوصه عن خبرة المحترفين من كتاب الرواية الكلاسيكيين الكبار، إذ تتحرك عنده الشخوص بما هي مؤهلة للقيام به، في ضوء طبيعتها كنماذج، كشف الروائي عن أبعادها الدرامية في تمهيد سابق[31] بمستويين من اللغة على لسان الراوي الشاهد، أحدهما فصحى غلبت على الرواية، وشعرية غلبت على بعض اللوحات، مثل اللوحة الحادية عشرة التي تتحدث عن أحزاب وعقائد تعبر عن انتماء الكاتب، فقد جاءت مشحونة بألفاظ شعرية مكثفة "لتشحن وجدان المتلقي بإحساس مكثف بالأهمية الاستثنائية للحظة التي يتحدث عنها[32]كشف الراوي عن شخوصه عبر الحوارات الخارجية التي أكثر منها, والحوارات الداخلية التي قلل منها في الرواية ومثالها يقول عواد النمر في نفسه "لازم تهرب اليهود إلى فلسطين يا عواد[33]

مستخدماً مستويات متعددة للغة تنم عن انتماء وثقافة وعمل الشخصية فحران يتحدث البدوية الأردنية "ويش هات المبلغ"[34]، وأبو عبده يتحدث اللبنانية "بدي تلاتين ليرة يا حران"[35]،وتوسع باللغة فوصف ألفاظ السكارى "بصحتك يا أبو شريك[36]، وألفاظ المقاهي "ورقة الأس البستوني"[37]،وألفاظ الحجب "الأمر لا يتطلب إلا كتابة كلمات غامضة لا أصل لها وتعابير مبتورة"[38]،وألفاظ شعبية "أوف طيب"[39]، "وألفاظ سوقية "عاهرة"[40] وألفاظ الهتافات الحزبية (البعثية)

و(الإسلامية)[41] وألفاظ عربية بلسان غربي كقول جلوب: "طلاميز، انجليزموش آجب بعص (بعث)"[42] وألفاظ غربية بكتابة غربية ''Dance'' [43]وألفاظ دينية "لا حول ولا قوة إلا بالله"[44] حتى ألفاظ اللثغ على لسان سمورة "بدك ثاي (شاي)"[45] واستخدم ألفاظاً أجنبية بكتابة عربية أسمنتية،[46] أتوماتيكيا[47]الكازوز[48].

هذا المزج المكثف لمستويات اللهجات عبر اللغة لم يُسئ للرواية بل أغناها بإظهار الشخصيات، وكأنها تتحرك أمام القارئ مباشرة وتعبر عن نفسها بحرية تامة، باعتبار أنّ "مفهوم اللغة عنده لا يقوم بذاته ولذاته فقط، وإنما هو مرتبط ارتباطاً تكوينياً بالإنسان، من حيث هو الفاعل الكلامي، صانع الرموز ومن حيث هو المفكر المستوعب والمنفعل"[49] وهذا ما نلاحظه أيضاً في رواية الزوبعة، فقد استطاع الكاتب أن ينقلنا إلى وقائع ذلك الزمان بمهارة، بحيث نشعر بوجودها أمامنا باستخدام أسلوب سردي متعدد المستويات، فالراوي اعتمد السرد بضمير الغائب ليستطيع أن يلم بكل الأحداث المتزامنة؛ ولذلك اختلف أسلوب سرده بحسب الفترة الزمنية ففي الجزء الأول من الرواية ركز الراوي على السرد الوصفي للأماكن بأسلوب شاعري مؤثر، وبانتقاله المفاجئ للسرد من الراوي بضمير الغائب إلى الشخصية بضمير المتكلم، بأسلوب سلس بعيد عن التكلف لا يشعر القارئ به مثال ذلك وصف الراوي لحلم رجا الصليبي إذ يقول" وخنخنت حنجرته بتتابع قبل أن يصرخ بكل أنفاسه آخ آخ آخ وصفع رأسه براحتيه[50] ليشحن عاطفة المتلقي اتجاه الأحداث والشخصيات، التي كانت تعاني أغلبها من سطوة الحكم التركي عليها.

هذا الأسلوب اختلف في الأجزاء الأخرى من الرواية حيث سيطر عليها السرد التاريخي في أغلب الأحيان، والخطب السياسية الذي ميزها الكاتب برسمها بلون داكن يميزها عن بقية السرد وليشحن حاستي السمع والبصر للمتلقي، ويظهر هذا عندما يتكلم عن الآخر في خطبه أو عند نقل خطاب لقائد كخطاب الشريف فيصل،[51] وعند استرجاع شخصية لأقوال معينة، كاسترجاع صقر لأقوال أمه[52] أو في لقطات فاصلة في حياة إنسان[53] بالإضافة للافتات التي تدعو للحرية[54]، أو عن طريق نقل مواويل الشعب،[55] أو من أجل سخرية من وضع راهن مثل قوله.

"ارتفعت في شارع البرج يافطات تحمل أسماء مستعارة تدل على جسد صاحبة الدار (يبرز الأسماء بلون داكن) **ليلى الشامية، عدوية المصرية**[56]وليقرب الشخصيات من الواقع جعلها تعبر عن نفسها بلسانها، عبر الحوار بلهجتها المحكية، وبمستويات سردية متعددة تناسب أوضاع

الشخصيات،الثقافية، والاجتماعية، والفكرية، مثال ذلك يتحدث الكولونيل "تولا" العربية بلسان عربي: "مسيو سابغ (صابر) الأمة الفرنسية أمة عظيمة"[57]، وبلهجة بدوية يقول فرحان "هاظا البدوي ما هو قطروز"[58] ولهجة مصرية تقول فتحية "أمال، نص أهل مصر جعايدة"[59]، وغيرها من اللهجات المتعددة التي تناسب الشخصيات، فقد استطاع من خلال التعدد اللغوي "أن يجعل العالم مكتملاً، وأن تستمر الرواية في تشكلها وسط مراحل وعصور تتميز بالتعقيد الكبير والتعمق... مما يؤدي إلى إعطاء الرواية سمة التطور المتلاحقة"[60]

ووظف الروائي الأحلام في أحداث الرواية بفن وخيال، وكأنها فيلم سينمائي[61] لأهميتها في الكشف عن: "مكنونات نفسية داخلية للشخص الحالم، وبتركيزها على مركز الصراع، أو التأزم في النفس بما يختلجها من ألم وقلق أو أمنية"،[62] مثال ذلك: وصف الراوي لحلم أبي مرزوق "البير مكشوفة يا ولد، لكنه عجز عن إصدار صوت حنجرته مغلقة أنفاسه تختنق في صدره م، م، م[63]

واستخدم الروائي الأساليب الإنشائية، ولا سيما أسلوب الاستفهام، بكثرة في بعض اللوحات ليكسر من رتابة السرد للأحداث، وليشارك المتلقي في الاستنتاج والتفكر ببعض الأمور الذي يزيدها الغموض أهمية ولهذا أكثر أيضاً من علامات الحذف في الرواية فأضحى دور القارئ "بنائياً لا استهلاكياً فكأنه وهو يقرأ يتناص مع المؤلف فيحاول مواكبته بإكمال بناء النص المقروء.[64]

فالراوي لا يتدخل مباشرة في الكشف عن حقيقة معينة، قد تسيء لأحد الأشخاص، فبأسلوبه المتميز يجعل المتلقي يستنتجها من تلقاء نفسه عن طريق التأمل بها، وخاصة أن الكاتب يتحدث عن تاريخ واقعي بأسلوب روائي، ولهذا نتفاجأ في الجزء الرابع من الرواية بكلمة (رقابة) بين قوسين، منتشرة في أغلب صفحات الرواية[65] فإذا كان لدينا شك ولو ضعيفاً بانتماء هذه الملحمة للواقع،، سيزيل الشك نهائياً، ولكن هذا لم ينقصها قيمتها الفنية والموضوعية، فهي تجبر المتلقي على احترام مثل هذا العمل الضخم بموضوعه وأسلوبه، لأنه كما يقول محمد لافي: "يعتمد البطولة الجمعية بقدرة فنية تنأى عن التاريخية الصرفة، لتسد فراغاً واسعاً هاماً في المكتبة الروائية الملحمية، ولتمثل رافداً مهماً من روافد الملحمة العربية"[66]

وهذا القول ينطبق على رواية "أبناء القلعة" ولكن لكل عمل لا بد من هفوات فنأخذ على الكاتب في (أبناء القلعة) السرد المكثف على لسان الراوي ليحتل مساحة على حساب الحوار، أو بتركيزه على موقف معين لا تحتمله الرواية وتوسعه بإظهار سلبياته وإيجابياته لأنه ينتمي إليه، ومقتنع به،

فيطنب في الحديث عنه كتركيزه على حزب البعث[67]، وخطاباتهم، ومقالاتهم، ولغتهم، وهتافاتهم، وعلى مكان وزمان إلقاء قسمهم مثال ذلك، يقول الراوي عن جورج: "اختار عصراً ربيعياً لأداء القسم الحزبي، ومن على أسوار القلعة العظيمة"[68] بالإضافة لاستخدامه لأساليب استفهامية بشكل مكثف،بعضها خدم النص بحيث كان عاملاً فاعلاً بين الكاتب والمتلقي، وبعضها كان عبئاً على النص ومسيئاً له[69]. وما يؤخذ عليها أيضاً تكرار بعض الألفاظ دون فائدة في نفس الصفحة مثال ذلك الحوار الذي دار بين بعض الشخصيات" لا، لا فوزية الصغرى أليس كذلك؟

نعم، نعم.. هل...؟

لا، لا، ولكن

لا، لا، مستحيل"[(70)].

ولكن هذه المآخذ ليس لها أي قيمة أمام هذا العمل المتميز لقدرته على تناول هذا الكم من الأفكار، والأحداث والشخصيات، برواية واحدة، والأهم من هذا جعل المتلقي يتفاعل مع الرواية،وكأنها أحداث تحصل أمامه، فتشحنه بالمواقف الحماسية والساخرة، مما جعل الناقد نزيه أبو نضال يعدها "الأكثر أهمية في تاريخ الرواية الأردنية[71]".

والناظر في شخصية الآخر في الروايتين يلحظ أن الذي يحدد رسمهما هما المصلحة المجناة في أغلب الأحيان وعلى هذا الأساس فإن صورة الآخر رسمت بأشكال مختلفة يغلب عليها الطابع النمطي فهي في بعض الأحيان محببة ومقبولة، وفي أغلب الأحيان مشوهة ومرفوضة. حيث نجد قبولها أحياناً يكون عن بُعد من خلال أفكارها وكتابتها التي تحث على تطور المجتمعات كافة والسمو بها بما فيه خير للبشرية ظهر ذلك بإعجاب الأب سمعان بأفكار الآخر عند قراءته لنفائس الكتب اليونانية والفرنسية التي أصبح يشعر من خلالها بأنه راسين، وغوته[72]، ودافنشي، وإنجلز فكان أثرها عليه إبداعه في كتابة المسرحية.

وظهر هذا الأثر أيضاً على رؤوف كنعان حين قرأ من التاريخ الألماني والفلسفة الألمانية والثقافة الغربية بشكل عام فكان أثرها عليه أن "طهرت روحه موسيقا موزارت وسحرت مخيلته فلسفة القوة عند نيتشه، ونالت من عواطفه حياة غوته وأعماله[73]". فالآخر يظهر هنا كفكر وليس كمشاعر وأحاسيس والإعجاب به نابع من مقدار الإفادة منه. وبسبب ذلك تظهر صورة الغرب باهتة بلا ملامح لا يوجد وصف لمشاعرها وأحاسيسها الداخلية ولا الخارجية، وفي أحيان أخرى نجد إعجاباً

بالآخر عن قرب بسبب صدق العواطف الذي يبديها تجاه الشرق ومحاولته الدفاع عن قضاياه، ظهر ذلك بإعجاب الروائي على لسان سيف الحجاج بشخصية لورنس الإنجليزي أثناء حواره معه عن الحرب التي يخوضوها معاً ضد الأتراك إذ يقول لورنس لسيف الحجاج "صدقني سيد سيف بأني مقتنع تماماً بجدوى ومنطقة وعدالة الحرب التي يقوم بها العرب... أما أنا وإن كان السبب الذي يدفعني للحرب معكم جوهري إلا أنه ليس منطقياً على الإطلاق... في بعض الأحيان أحس بأني أخدعكم خاصة عندما التقي بقادتي التي تهمهم خرائطهم أكثر مما تهمهم ثورتكم وأوطانكم وأديانكم فأشعر بالذنب فأحس بأني أكبر مخادع في الدنيا وإن ما أفعله زائف وبدافع الشهرة ليس إلا[74]". فشخصية الآخر تظهر هنا عبر حديثه عن شعوره من خلال تيار الوعي الذي ينظر إلى النفس على أنها "وعاء يختزن مواد أولية تعمد رواية التيار إلى محاكاته بالكلمات وذلك من أجل كشف التناقض الذي تراه بين ما يجري في العالم الداخلي للشخصية وما يجري في عالمها الخارجي إذ تقوم بتصوير الحياة الداخلية كتعارض للحياة الخارجية معتبرة أن العالم الداخلي هو الحقيقي ما عداه فهو مزيف[75].

ومن خلال هذا الحوار ظهرت صورة معاكسة للآخر وهي صورة الآخر المستغل المتمثل بالقادة الذين اجتمع معهم لورنس حيث جعل الروائي مصدر كشفهم من خلال شخصية منهم لتكون الصورة أكثر صدقاً واقتراباً من الواقع ولأنه أعلم بمجتمعه وبقادته ولو ظهرت هذه الشخصية من خلال حديث رجل شرقي لكان مطعوناً برأيه. وكمثال على الآخر المستغل شخصية القائد الغربي الجنرال اللنبي، والذي ظهرت نواياه أثناء حديثه مع لورنس عن اتفاقية سايكس بيكو[76].

وبهذا تظهر صورة الآخر من خلال سلوكها ومواقفها في الرواية حيث نجد تركيزاً على رسمها الخارجي الذي يعبر عن قبول أو رفض الشخصية، فمثلاً نجد وصفاً لشخصية القائد هربرت صموئيل بشكل منفر إذ يقول الراوي عنه: "تعلقت الأنظار بالرجل الذي يشبه دمية مصقولة يتدفق صوتها من قفاها"[77].

بينما نجد شخصية الإعجاب ترسم بطريقة محببة، فمثلاً يصف الراوي شعور سيف تجاه لورنس بالمشاعر الدافئة بحيث غدا بالنسبة إليه رجلاً أكثر من عادي وتبادرت إلى ذهن سيف عند رؤيته لورنس القول: "لا يشترط في العظيم أن يكون نبياً وإن كان النبي عظيماً بالضرورة"[78].

ومن الملاحظ انتشار الألقاب غير المحببة لتدل على الآخر في كلتا الروايتين فقد لقب جلوب باشا في رواية "أبناء القلعة" بـ (أبي حنيك[79]. و(بالرجل ذي العينين الضاحكتين)[80]. و(بالكلب

الإنجليزي)[81]. ولقب الجنرال غورو في رواية "الزوبعة" بـ(الجنرال الأقطع)[82].وبهذا تكون الروايتان قد عبّرتا عن رؤيتهما للتاريخ وأحداثه عن طريق رسم شخصياته.

الخاتمة

استطاع زياد القاسم من خلال سرده ووصفه لشخوص روايتيه ومن خلال الحوار الذي تكفل بمهمة الكشف عن ايديولوجيات الشخوص على اختلاف قومياتهم من التعبير عن التاريخ من خلال تقنيات سردية كان أهمها القطع المكاني التي تلائم مثل هذا النوع من الروايات لزخم الأحداث في متنها ويبدو أن الرواية الأردنية ربما لقربها من الأحداث التاريخية وخاصة الأحداث السياسية المحيطة بها جعلت أغلب أحداثها فيها سرد تاريخي .

الهوامش

1) اعتبر زياد القاسم من رواد كتابة الرواية الأردنية. دخل الجامعة الأردنية في عام 1965. حصل على بكالوريوس محاسبة في عام 1969، ثم حصل على ماجستير محاسبة من جامعة برايتون في بريطانيا عام 1983. عمل محاسباً في مجال التأمين والملاحة حتى عام 1978 ومدير عمليات في الملاحة البحرية حتى عام 1983، ثم مدرب محاسبة وتسويق مصرفي في معهد الإدارة الأردني حتى عام 1995، ليتقاعد عن العمل بعد ذلك أي في العام 1995. كتب عدة روايات أهمها: ''أبناء القلعة'' و''الزوبعة من ستة أجزاء'' و''العرين'' و''الخاسرون'' وغيرها. أرخ في رواياته لتاريخ مدينة عمان الأردنية عبر مراحلها المختلفة منذ نشأتها، وله كتابات في القصة القصيرة إلى جانب الرواية، وقد قام بتحويل عدد من رواياته إلى دراما إذاعية تم بثها عبر الإذاعة الأردنية. توفي في مدينة حسين الطبية إثر جلطة دماغية أصابته، وكان ذلك يوم الجمعة الموافق 3 أغسطس عام 2007.

2) صدرت رواية "أبناء القلعة" عام 1990، وصدرت رواية "الزوبعة" الجزء الأول عام 1994، (والجزء الثاني عام 1996،) (الثالث عام 1997) (والجزء الرابع 1997).

[3]) القاسم، زياد ، الزوبعة، الجزء الأول، 1996، ص 4.

[4]) انظر القاسم، زياد ، الزوبعة، الجزء الرابع، ص 284

[5]) القاسم، زياد ، أبناء القلعة، ص9 .

[6]) انظر المصدر نفسه، ص 13

[7]) .العاجيب، ليلى ، مفهوم الرواية التاريخية ، موقع موضوع نت 18 اغسطس 2016 .

[8]) انظر أبو نضال ، نزيه علامات على طريق الرواية في الأردن ، ، ط1 ، دار أزمنة للنشر ، 1996 ،ص 11-15

[9]) علوش ، سعيد ، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1985م ص103 .

[10]) انظر ، الشمالي ، نضال ، الرواية والتاريخ(بحث في مستويات الخطاب في الرواية التاريخية العربية)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، الأردن ، ط1 ، 2006 م ، ص113

[11]) لوكاش ، جورج ، الرواية التاريخية ، ترجمة صالح الكاظم ، وزارة الثقافة والاعلام ، العراق ، ط2 ، 1986م ، ص89.

[12]) القط ، عبد الحميد ، بناء الرواية في الأدب المصري الحديث ، دار المعارف ، ، مصر ، ط1 ، ص33 .

[13]) طبيل ، محمد محمد حسن ، تحولات الرواية التاريخية في الأدب العربي ، رسالة ماجستير ، إشراف الدكتور يوسف موسى رزقة ، نوقشت الرسالة في الجامعة الاسلامية بغزة ، 2016، ص6

[14] 13) انظر البعلبكي ، منير ، موسوعة المورد ، 1991 .

[15]) فريحات ، مريم ، التجليات الملحمية في رواية الأجيال العربية ، وزارة الثقافة ،الأردن ، ط1 ، 2005 م ص59 .

[16]) انظر أبو نضال، نزيه، علامات على طريق الرواية في الأردن، دار ازمنة للنشر والتوزيع، 1996، ص 150.

[17]) الأزرعي، سليمان ، الرواية الجديدة في الأردن، ص 158

[18]))أبو نضال، نزيه، علامات على طريق الرواية في الأردن، ص 199 .

[19]))ياغي، عبد الرحمن ، مع روايات في الأردن، ص 84 .

[20]) انظر الزوبعة، الجيل الأول، الجزء الأول، ص 602، ص 610

[21]) شبانه، عمر ، جريدة الحياة، المغلف الأخير من رواية الزوبعة، الجزء الثالث والرابع .

[22]))القاسم، زياد ، أبناء القلعة، ص5.

[23]) المصدر نفسه، ص14 .

[24]) القاسم، زياد ، أبناء القلعة، ص 17

[25]) حداد، نبيل ، المرجعية المعرفية وتجليات النمذجة الروائية، ص 40

[26]))فضل صلاح، نظرية بنائية في النقد الأدبي، مطبعة الأمانة 1987، ص 341-342.

[27]))انظر القاسم، زياد ، أبناء القلعة، ص 61.

[28])انظر المصدر نفسه، ص84-85، 102-103، 112-114.

[29]))انظر المصدر نفسه، ص194، 203، 267، 168 .

[30]) انظر المصدر نفسه، ص236-237.

[31]) الأزرعي، سليمان ، الرواية الجديدة في الأردن، ص 155.

[32]) أبو نضال، نزيه ، علامات على طريق الرواية في الأردن، ص 154

[33]) القاسم، زياد ، أبناء القلعة، ص 248

(34)المصدر نفسه، ص 24

[35]) لمصدر نفسه، ص33

[36]) المصدر نفسه، ص7

[37]) المصدر نفسه، ص72

[38]) المصدر نفسه، ص53

[39]) المصدر نفسه، ص36

[40]) المصدر نفسه، ص16

[41]) المصدر نفسه، ص75

[42]) المصدر نفسه، ص61

[43]) المصدر نفسه، ص104

[44]) المصدر نفسه، ص46

[45]) المصدر نفسه، ص86

[46]) المصدر نفسه، ص67

[47]) المصدر نفسه، ص23

[48]) المصدر نفسه، ص24

[49]) خرماش، محمد ، جدلية اللغة والواقع في الخطاب الروائي، علامات عدد 8، 1997، ص 65-66

[50]))القاسم، زياد، الزوبعة، الجيل الأول، الجزء الأول، ص 6.

[51]) انظر المصدر نفسه، الجيل الثاني، الجزء الثاني، ص 66

[52]) انظر المصدر نفسه، ص135 .

[53]) انظر القاسم، زياد، الزوبعة، الجيل الثاني، الجزء الثاني، ص 143

[54])) انظر المصدر نفسه، الجيل الثاني، الجزء الرابع، ص 147.

[55]) انظر المصدر نفسه، الجيل الثاني، الجزء الثاني، ص 99، 100، 102، 106،105 .

[56]) المصدر نفسه، ص158

[57]) المصدر نفسه، ص71

[58]))المصدر نفسه، الجيل الثاني، الجزء الثاني، ص 5

[59]) المصدر نفسه، ص146

[60]))باختين، ميخائيل، الملحمة والرواية، مسائل في المنهجية، ترجمة جمال شحيد، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1982م، ص 67.

[61]) انظر المصدر نفسه، الجيل الثاني، الجزء الرابع، ص276-278 .

[62]) فرويد، سيجموند ، نظرية الأحلام، ترجمة جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، 1980، ص 11-12

[63]))القاسم، زياد ، الزوبعة، الجيل الثاني، الجزء الثاني، ص 162. ص 244

[64]))مرتاص، عبد الملك ، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، 244.

[65]) ر القاسم، زياد ، الزوبعة، الجيل الثاني، الجزء الثاني، ص 2، 7، 11، 14، 15، 29، 37، 55، 56، 58، 59، 97، 149، 194

[66]) لافي، محمد، جريدة المجد، المغلف الأخير من رواية الزوبعة، الجيل الثاني، الجزء الثالث والرابع

[67]) انظر القاسم، زياد ، أبناء القلعة، ص 84-85، 102-110، 379 .

[68]) المصدر نفسه، ص 76

[69])انظر المصدر نفسه، ص 10-11

(70)المصدر نفسه، ص 11.

[71])أبو نضال، نزيه ، علامات على طريق الرواية في الأردن، ص 161.

[72]) انظر، القاسم، زياد، الزوبعة، الجيل الأول، الجزء الأول، ص353.

[73]) المصدر نفسه، ص181-182

[74]) المصدر نفسه، ص583-584، انظر البحث ص72.

[75]) سماحة، فريال كامل، رسم الشخصية في روايات حنا مينة، ص18.

[76]) انظر القاسم، زياد، الزوبعة، الجيل الأول، الجزء الأول، ص635-636.

[77]) المصدر نفسه، الجيل الثاني، الجزء الثالث، ص103.

[78]) المصدر نفسه، الجيل الأول، الجزء الأول، ص585

[79])كان هذا اللقب –فعلاً- لقب جلوب باشا عند الأردنيين. ،القاسم، زياد، أبناء القلعة، ص84، ص113-114

[80]) القاسم، زياد، أبناء القلعة، ص104.

[81]) المصدر نفسه، ص110

[82]) القاسم، زياد، الزوبعة، الجيل الثاني، الجزء الثاني، ص317.